

الامامة والسياسة

[94] منع معاوية الماء من أصحاب علي قال: وذكروا أنه لما نزل معاوية بصفين، بعث أبا الاعور بمن معه، ليحولوا بينهم وبين الفرات، وأن أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات، فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء، فانصرفوا، فساروا إلى علي، فأخبروه فقال علي للاشعث: اذهب إلى معاوية، فقل له: إن الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نحل بينك وبينه، فإن شئت خليت عن الماء، وإن شئت تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا له. فانطلق الاشعث إلى معاوية، فقال له إنك تمنعنا الماء وإمّا لنشربنه، فمرهم يكفوا عنه قبل أن نغلب عليه، وإمّا لا نموت عطشا وسيوفنا على رقابنا. فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال رجل منهم: نرى أن نقتلهم عطشا، كما قتلوا عثمان ظلما. فقال عمرو بن العاص: لا تظن يا معاوية أن عليا يظما وأعنة الخيل بيده، وهو ينظر إلى الفرات، حتى يشرب أو يموت دونه، خل عن القوم يشربوا. فقال معاوية: هذا وإمّا أول الظفر، لا سقاني إمّا من حوض الرسول إن شربوا منه، حتى يغلبوني عليه. فقال عمرو: وهذا أول الجور، أما تعلم أن فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لا ذنب له؟ لقد شجعت الجبان، وحملت من لا يريد قتالك على قتالك. غلبة أصحاب علي على الماء قال: وذكروا أن معاوية لما غلب على الماء اغتم علي لما فيه الناس من العطش، فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم إلى بعض، مخافة أن يغلب أهل الشام على الماء، فقال الاشعث: يا أمير المؤمنين، أئمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا السيوف؟ خل عنا وعن القوم، فو إمّا لا أرجع إليك حتى أردته، أو أموت دونه، وأمر الاشعث أن يعلو الفرات في الخيل، حتى آمره بأمره. فقال علي: ذلك لك. فانصرف الاشعث، فنادى في الناس: من كان يريد الماء فميعاده الصبح، فإني ناهض إلى الماء، فأجابه بشر كثير، فتقدم الاشعث في الرجالة، والاشعث في الخيل، حتى وقفا على الفرات، فلم يزل الاشعث في الرجالة يمضي، حتى خالط القوم، ثم حسر عن رأسه، فنادى: أنا الاشعث بن قيس، خلوا عن الماء. فقال أبو الاعور: أما وإمّا قبل أن تأخذنا وإياكم السيوف فلا. فقال الاشعث: أظنها وإمّا قد دنت منا ومنكم. قال: وبعث الاشعث إلى الاشعث أن أقحم الخيل، فأقحمها الاشعث، حتى وضع سنايكها في الفرات، وحمل الاشعث في الرجالة، فأخذت القوم السيوف فانكشف أبو الاعور وأصحابه، وبعث الاشعث إلى علي: هلم يا أمير المؤمنين، قد غلب إمّا لك على الماء، فلما غلب أهل العراق على